International Journal of Education and Language Studies
ISSN: 2791-9323

Research Article	June 2023	Volume: 4	Issue: 2

MAJNOON'S NARRATION IN THE BOOK OF SONGS BETWEEN FACT AND FICTION

Ahmad SHAIKH HUSAYN [1]

Istanbul / Türkiye
p. 196-208

Received: 30/04/2023
Accepted: 14/05/2023
Published: 01/06/2023

This article has been scanned by **iThenticat** No **plagiarism** detected

Abstract:

I place this study (Majnoon's Narration in the Book of El-egani Between Fact and Fiction) in the hands of readers and researchers. Perhaps it draws their attention because of its importance, especially the character that this study dealt with, the character of Qais bin Al-Malawwah (Majnoun Layla), and perhaps one of the most prominent poetic figures in the history of the platonic poetry. A love of a new kind, the signs of which seemed clear after the advent of Islam during the Umayyad era, which dominated the inhabitants of the desert of Hijaz and Najd, where the Arab traditions had mastered, until it became a general phenomenon in those desert, and perhaps it was a reaction to the shameless flirtation that spread in the cities at the time.

Qais bin Al-Malawah represents the most wonderful representation of the platonic chaste love, which was a natural result and fruit of the desert environment and the Islamic faith that spread in this era.

The research shed light on the narrations that came in the story of Majnoon's love for Laila (in the Book of El-egani), in terms of their authenticity and truthfulness. Far from the reality of the existence of Qais' personality rather than its non-existence, as many critics and researchers have dealt with this issue, but in this research we decided to discuss the issue of narrations only, so we subjected it to the will of reason on the one hand, and to the customs and traditions in the Hijaz desert on the other, and finally to the Islamic faith that It was prevalent in that region at that time.

Key Words: Majnoun Layla, El-Egani, Narration, Love, Fact, Fiction.

http://dx.doi.org/10.47832/2791-9323.2-4.14

[1] Dr, UNIVERSITY OF KILIS 7 ARALIK, Türkiye . ahmadsh777@outlouk.com https://orcid.org/0000-0001-6646-704X

روايات المجنون في كتاب الأغاني بين الحقيقة والخيال

أحمد شيخ حسين [2]

الملخص:

أضع هذه الدراسة (روايات المجنون في كتاب الأغاني بين الحقيقة والخيال) بين يدَي القرَّاء والباحثين؛ لعلَّها تسترعي نظرَهم واهتمامَهم لِما لها من أهمِّيَّة، ولا سيَّما الشخصيَّة التي تناولتها هذه الدراسة شخصيَّة قيس بن الملوَّح (مجنون ليلى) ولعلَّها من أبرز الشخصيَّات الشعريَّة في تاريخ الشعر العذريّ العفيف، هذا النتاج الشعريّ الذي يعدّ من أرقِّ وأنبل ما وصلنا في شعر الحبّ؛ حب من نوع جديد بدت أماراته واضحة جليَّة بعد ظهور الإسلام في العهد الأمويّ، والذي غلب على سكان بادية الحجاز ونجْد الذين تمكَّنت التقاليد العربيَّة منهم حتى غدا ظاهرةً عامَّةً في تلك البوادي، ولعلَّه كان ردَّة فعل على الغزل اللاهي الذي انتشر في المدن آنذاك.

إنَّ قيس بن الملوَّح يمثّل أروعَ تمثيل لهذا الحبّ العذري العفيف الذي كان نتيجة طبيعيَّة وثمرةً لبيئة البادية وللعقيدة الإسلاميَّة التي انتشرت في هذا العصر.

وقد آثر البحثُ أن يتناول الروايات التي جاءت في قصَّة حبّ المجنون لليلى (في كتاب الأغاني) من حيث صحَّتُها وصدقُها؛ بعيداً عن حقيقة وجود شخصيَّة قيس من عدم وجودها، إذ تناولَ هذه المسألة كثيرٌ من النقَّاد والباحثين، غير أنَّنا في هذا البحث ارتأينا أن نناقش مسألة الروايات فحسب، فأخضعناها لميزان العقل من ناحية، وللأعراف والتقاليد في بادية الحجاز من ناحية أخرى، وأخيراً للعقيدة الإسلامية التي كانت منتشرة في تلك المنطقة آنذاك.

الكلمات المفتاحية: مجنون ليلى، الأغاني، الروايات، الحب، الحقيقة، الخيال.

[2] د، جامعة 7 آراليك كلس، تركيا

Volume: 4 Issue: 2

المقدمة:

تتناولُ هذه الدراسةُ الأخبارَ والأحاديثَ والرِّواياتِ التي تتحدَّث عن علاقة الحبّ بين المجنون وليلى من حيث نشأةُ هذا الحبّ، واستمراره، مروراً بزواج ليلى، فجنون قيس، ووصولاً إلى أن هام في القفار والبراري مع الوحوش والضواري، لنقف على هذه الرِّوايات وما حيكَ فيها من قصص وأساطير، فنناقشها، وننظر إليها بعين الناقد الذي يتقصَّى الحقيقة، فنضعها على ميزان العقل والمنطق والدّين ضمن معايير المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر، ومن ثم نستطيع أن نطلق حكمنا مع الكثير من الاطمئنان.

إذن ينصبّ اهتمام البحث على قراءة هذه الروايات قراءة نقديَّة، بعيداً عن مناقشة حقيقة وجود شخصيَّة قيس من عدم وجودها، فهذا ما لم أناقشه في هذا البحث؛ وربَّما أرجئه إلى بحث جديد في قادم الأيام إن شاء الله.

وقد اشتمل البحث على مقدمة مهَّدت للدخول في البحث، تلتها لمحة سريعة تحدَّثت عن أنواع الغزل في العصر الأموي، لينتقل إلى الحديث عن قيس بن الملوَّح (اسمه ونسبه، سبب تسميته بالمجنون، وتضارب الروايات في نشأة حبّه لليلى).

من ثمَّ عرَّج البحث على مناقشة أغلب الروايات التي تناولت علاقة المجنون بليلى وما دار فيها من أحداث، ليصل إلى وفاته، وليختتم أخيراً بصفوة ما وصل إليه هذا البحث.

بادئ ذي بدء لابد أن نلقي نظرة سريعة على الغزل ونوعيه اللذين انتشرا في العصر الأموي عصرِ قيس بن الملوَّح.

أولاً- الغزل في العصر الأموي بين الإباحي والعذري:

بدأت الأموال تتدفّق على الدولة الأمويّة نتيجة الفتوح التي قامت بها، يضاف إلى ذلك التأثّر بالحضارة البيزنطيّة والفارسيّة، الأمر الذي أدّى فيما بعد إلى ظهور اللهو والملذّات والمجون لينسحب ذلك أيضاً إلى الحجاز (عطوي،1986، ص 45 وما بعدها).

"على هذا النحو أصبحت المدينتان الكبيرتان في الحجاز لا تقلان في شيء عن مدن البحر المتوسط، وقد أخذتا تغرقان في الحضارات الأجنبيّة إلى آذانهما، ولم يحل تحوّل الخلافة إلى دمشق في العصر الأموي بينهما وبين شيء من ذلك، بل لعله أعطاهما الفرصة لكي تنهلا من الحضارات الأجنبيّة كما تريدان" (ضيف،1965م، ص25).

ويبدو أن كل منطقة راحت تختصُّ بنوع من الشعر في هذا العصر، أما الحجاز فقد اختصّت بنوع من الشعر الغنائيّ الكامل الذي كان يصحب بالعزف والضرب على الأدوات الموسيقية، وأما نجْد فاختصّت بنوع من الغزل العذريّ العفيف، على حين أن العراق يعدّ أهم بيئة نشط فيها الشعر، وقد اختصّ بنوعين من الشعر، هما: الشعر السياسي من خارجي وشيعي وأموي، والشعر القبلي الذي امتاز بالعصبية من فخر وهجاء (ضيف،1965م، ص53-54).

ولعل من يتابع درس شعر الحجازيين في هذا العصر يلاحظ أن الهجاء يقلّ فيه قلّة شديدة، وأن المديح لم يكن ذلك اللون الصارخ في الشعر، إنما اللون الذي كان يستهويهم هو الغزل، وذلك لأنه يتلاءم ورقةَ الإحساس والشعور، كما أنه يتلاءم مع فنّ الغناء الجديد الذي انتشر بسبب الترف والمغنّيات والجواري (ضيف،1965م، ص28).

أما الغزل في العصر الأمويّ فقد اتّخذ وجهتَين: الشعر الإباحي أو ما يُعرف بالصريح؛ وكان أهمّ من برع فيه عمر بن أبي ربيعة والأحوص، والشعر العذريّ العفيف؛ وأهم من برع فيه مجنون ليلى، جميل بثينة، كُثيّر عزّة، وقيس لبنى.

يُرجع طه حسين نشأة هذين النوعَين من الغزل إلى أنَّ تولّد اليأس في بلاد الحجاز نتيجة نقل مركز المسلمين إلى بلاد الشام، والمعارضة إلى العراق، هو ما جعل الحجازيين يفرغون للحياة الخاصّة، كذلك فإنَّ الثروة التي كانت بين أيديهم نشرت بشكل أو بآخر اللهو والمجون في الحجاز، من هنا نشأ ما يسمّى بالشعر الإباحي عند عمر والأحوص، بينما كان الفقر يسود البادية، هؤلاء الذين تأثروا بالإسلام، ولا سيّما بالقرآن، حيث نشأ في نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضريّ الخالص وليس بالبدويّ الخالص، أما العذريّون فكان غزلهم مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحبّ من جانب، ولبراءتها من ألوان الفساد في الجانب الآخر (حسين، د.ت، 1/188-191).

أمَّا عبد الحميد إبراهيم فيردّ أسباب انتشار الغزل العذريّ إلى ثلاثة عوامل (إبراهيم، 1972م، ص150-163): كان أوّلها البيئة الصحراويّة وما فيها من لطف وجمال، إذ أثّرت في أبنائها، فغدوا أكثر حساسيّة ورقّة، وكان الفراغ هو العامل الثاني؛ فأهل البادية لا يشغلهم ذلك الترف واللهو والمجون مما انتشر في المدن، فكان جلّ اهتمامهمٍ وما يدور في

أحاديثهم المرأة والحب والغرام، أمّا آخر هذه العوامل فكان تقاليد البادية التي تقوم على المنعة والحفظ والبقاء للأقوى، والمرأة -من غير شك- أشدّ الأمور التي يحافظ عليها البدوي، ومنهم من ذهب إلى أنَّ الإسلام كان أحد أهم المؤثرات التي ساعدت على ازدهار الغزل العفيف، لما فيه من سموّ روحيّ وزهد وجهاد وعفّة (هلال، د.ت، ص27-39)، غير أن د. صلاح الدين الهادي لا يرى في العالم الإسلامي السبب الرئيس في نشوء هذا الغزل، فهو يذهب إلى أنه ضعيف الأثر، وإنما أهم بواعثه يرجع إلى ظروف البيئة البدويَّة، وأبرزها القيود العنيفة على حرّيّة اتّصال المحبّين بالبادية، الأمر الذي يوصِل إلى الحرمان، ليقضي من ثم المحب العذري حياته على أبواب معبد الحب، حائراً، مكتفياً بترتيل أناشيد الشوق والهيام، وإراقة الدموع (الهادي، 1986، ص62).

الغزل العذريّ إذن؛ غزل نقيٌّ طاهر بعيد عن كل ما يمكن أن يكون حسّياً، ففيه من لوعة المحبين ما لا نجده في أيّ غزل آخر، ولعل الصورة العامّة للحبّ العذريّ تتلخّص في أنه حبٌّ روحيٌّ يأخذ شكل المأساة التي تبدأ بالأمل، لتنتهي باليأس والحرمان، وأحياناً الموت، وتدور أحداثها بين عاشقَين تسيطر على حبهما العفّة والإخلاص والتوحيد والحرمان (خليف، 1961، ص48).

ولعلَّ قيس بن الملوَّح (مجنون ليلى) هو من يمثل هذا الحبّ العذريّ أروع تمثيل وأكمله.

ثانياً- قيس بن الملوَّح (مجنون ليلى)

1- اسمه ونسبه:

لقد اختلف الرواةُ والمؤرِّخون في اسم المجنون، فمنهم من ذهب إلى أنَّ اسمه قيس بن معاذ، ومنهم من ذهب إلى أنَّه البحتريّ بن الجعد، أو الأقرع بن معاذ، أو مهدي بن الملوَّح (الأصفهاني، 1425هـ، 331/2).

لكن - على ما يقوله من صحّح نسبه وحديثه - أنَّه قيس بن الملوَّح بن مُزاحم بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة...... سمعت مَن لا أحصي يقول: اسم المجنون قيس بن الملوَّح.... ومن الدليل على أنّ اسمه قيس قول ليّلى صاحبته فيه (الأصفهاني،1425هـ، 329/2، الجاحظ، 1418هـ، 385/1..، ابن قتيبة،1998، ص355، البغدادي، 1998، 213/4، الآمدي،1991، ص248، الأوْنَبيّ، د.ت، 350/1، الذهبي، 1996م، 5/4، الحنبلي، 1350هـ، 277/1، عبد الغني، 1999، ص25):

ألا ليتَ شِعري والخطوبُ كثيرةٌ	متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌ فراجعُ

ثم يورد الأصفهاني في أغانيه رواية أخرى ينفي من خلالها وجود المجنون، يقول: "وأخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شبَّة عن الخزاميّ، قال: حدّثني أيّوب بن عباية، قال: سألتُ بني عامر بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه" (الأصفهاني، 1425هـ، 329/2)..... وتابع قائلاً: "سمعتُ الأصمعيّ يقول: رجلان ما عُرفا في الدنيا قطّ إلا بالاسم: مجنون بني عامر، وابن القرّيّة، وإنما وضعهما الرّواة" (الأصفهاني، 1425هـ، 331/2)، ثم يعود ويثبت اسمه ووجوده مرَّةً أخرى.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرِّخين في اسمه؛ ومن ثم في حقيقة وجوده؛ إلا أنَّ هذه المسألة لن تكون مناط بحثنا، لكننا سنركز في هذا البحث على أغلب الروايات التي وردت في حبّه لليلى وعلاقته بها.

2- سبب تسميته بالمجنون:

تعددت الروايات التي تتحدَّثُ عن سبب تسمية قيس بن الملوَّح بالمجنون؛ من هذه الروايات أنَّ مزاحم بن الحارث العقيلي كان يحب ليلى (صاحبة المجنون)، فقال له ذات مرّة:

كلانا يا أخيَّ يحبُّ ليلى	بِفِيّ وفيكَ من ليلى التّرابُ
شركتك في هوى مَن كان حَظّي	وحظّكَ من مَودّتها العذابُ
لقد خبلتْ فؤادَكَ ثمّ ثنّتْ	بقلبي فهو مخبولٌ مُصابُ

Volume: 4 Issue: 2

وقد قيل: إن قيساً لمّا سمع هذه الأبيات التبس وخولط في عقله (الأصفهاني، 1425هـ، 333/2)، وبات من يومها مجنوناً.

وفي رواية أخرى (الأصفهاني، 1425هـ، 351/2)؛ أنَّه سُمّي بالمجنون لقوله:

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خلعا	في حبّ من لا ترى في نيلِهِ طَمَعا
الحبُّ والودُّ نيطا بالفؤاد لها	فأصبحا في فؤادي ثابتَين مَعَا

أو لقوله:

وإنّي لَمجنونٌ بليلى موكّلٌ	ولستُ عَزوفاً عن هواها ولا جَلْدا[3]
إذا ذُكِرتْ ليلى بكيتُ صبابةً	لِتذكارها حتَّى يبلّ البُكا الخَدَّا

أمّا العتبي فقد رأى أنَّه سُمّي بالمجنون (الأصفهاني، 1425هـ، 352/2) لقوله:

يقول أناسٌ علَّ مجنونَ عامر	يرومُ سلوَّاً قلتُ أنّى لِما بيَا
وقد لا مني في حبِّ ليلى أقاربي	أخي وابنُ عمّي وابنُ خالي وخاليَا
يقولون ليلى أهل بيت عداوةٍ	بنفسيَ ليلى من عدوٍّ وماليَا

وفي حكاية لأبيه عن سبب جنونه يروي الأصفهانيُّ (الأصفهاني، 1425هـ، 337/2): أنَّ الهيثم بن عديّ قد خرج ذات مرّة إلى مضارب بني عامر يبتغي لقاء قيس، فاستدلَّ على مكان وجوده، فوجد أباه شيخاً كبيراً وكان حوله إخوة قيس؛ فسألهم عنه فبكوه، وقال الشيخ وقتئذٍ: "إنَّ لقيس كبيرَ الأثر عندي من إخوته، وإنه عشِقَ امرأةً من قومه ما كانت تطمع في مثله، فلما فشت قصة حبّه لها، أبى أبوها أن يزوّجه إيّاها، فزوّجها غيره، وكان أوّل ما تمكّن العشق منه يجلس إليها في نفر من قومها فيتحدّثون، وكان مميّزاً بينهم من حيث الجمالُ والظّرْف، فيفيضون في الحديث فيكون أحسنهم فيه إفاضة، وقد وقع الحب في قلبيهما على حدّ سواء، فأقبلت عليه ذات مرَّة فقالت:

كِلانَا مُظهِرٌ للناسِ بُغْضا	وكلٌّ عند صاحبِهِ مَكينُ
وأسرارُ الملاحظ ليس تخفي	إذا نطقتْ بما تُخفي العيونُ

هنا خرّ مغشيّاً عليه، ولمَّا أفاق كان قد فقدَ عقله، فكان يخرّق ثوبه، وكثيراً ما كان يمشي عارياً، ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، ويتابع أبوه حديثه قائلاً: كان يعزُّ علينا ما يفعل؛ فكنا نحبسه ونقيّده، فيعضّ لسانه وشفته، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيله فهو يهيم".

3- تضارب الروايات في نشأة حبّه لليلى:

إنَّ تعدُّدَ الروايات التي تتحدّث عن نشأة حبّ المجنون لليلى؛ ومن ثم اختلافها لا بدّ أن يدفعنا إلى الشك في هذه الروايات؛ أو في بعضها على أقلّ تقدير- وهذا بالطبع ليس نفياً لحالة الحب التي حدثت بينهما؛ وإنما محاولة لتقصي الحقيقة والصدق فيها - فمثلاً تتحدّث الرواية الأولى (الأصفهاني، 1425هـ، 335/2) عن أنَّ قيساً وليلى كانا صبيَين صغيرَين يرعيان مواشي أهلهما، فأحبَّ كلُّ واحد منهما صاحبه، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فمُنعت عنه، ثم يأتي صاحب هذه الرواية بدليل شعريّ يؤيّد ما ذهب إليه في هذه الرواية،

[3]- عزف عن الشيء: انصرف عنه.

وهو قول المجنون:

تعلّقتُ ليلى وهي ذاتُ ذؤابةٍ	ولم يبدُ للأتْرابِ من ثديها حجمُ[4]
صغيرَين نرعى البهمَ يا ليت أننا	إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبر البهمُ

يبدو –والله أعلم- أنَّ هذه الرواية قد نُسِجت بما يتوافق وهذا الشعرَ؛ لا سيما إذا علمنا أنَّ أبا قيس كان سيداً في قومه، فكيف لابن سيّد أن يرعى المواشي؟ الأمر الآخر تضارب هذه الرواية مع الرواية الثانية (الأصفهاني، 1425هـ، 336/2) التي تقول: "إنَّ قيساً كان يمتطي ناقةً له كريمة وعليه حلّتان من حُلل الملوك –وهذا يؤكد أنّه ابن سيد في قومه- فمرّ بامرأة من قومه وعندها مجموعة من النساء يتحدّثن، فيهنّ ليلى، فأُعجبْنَ بجماله وكماله، فما كان منهنَّ إلا أنْ دَعونَه إلى النزول والحديث، ففعل، وبدأ يحدّثهنّ، ثم أمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته، فظلّ يحدّثهنّ طوال يومه، لكن من غير سابق إنذار يظهر عليهم فتى من الأعراب يسوق معزى له، فما أن رأيْنه حتى أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنون، الأمر الذي أثار حفيظته فخرج من عندهنّ وهو يقول:

أأعقرُ من جرّا كريمة ناقتي	ووصلي مفروشٌ لوصْلِ منازلِ[5]
إذا جاء قعْقعْنَ الحُليَّ ولم أكن	إذا جئتُ أرضى صوتَ تلك الخلاخلِ
متى ما انتضلنا بالسّهام نضلته	وإن نرم رشقاً عندها فهو ناضلي[6]"

يتابع الراوي قائلاً: "فلما أصبح لبسَ حلّته، وركب ناقة له أخرى، ومضى متعرّضاً لهنّ، فوجد ليلى جالسة بفناء بيتها وقد علق حبّه بقلبها وهويته، وكان معها جويريّات يتبادلنَ الحديث معها، فوقف وسلّم عليهنَّ، فدعونَه إلى النزول وقلنَ له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك أحد (يقصدنَ الأعرابي)؟ فقال: إي لعمري، فنزل وفعل مثل ما فعله بالأمس، ثم أرادت ليلى أن تتأكد من حبّه لها، فبدأت تُعرض عن حديثه شيئاً فشيئاً وتحدّث غيره، وحدث أن أقبل فتى من حيّها –وهي تحدّث قيساً- فدعتْه وسارّته سراراً طويلاً، ثم انصرف، عندها نظرت إلى وجه المجنون وقد تغيّرت ملامحه وانتقع لونه، فشقّ عليه ما فعلت، فأنشأت تقول:

كلانا مُظهرٌ للناس بُغضاً	وكلٌّ عند صاحبه مَكينُ
تبلّغنا العيونُ بما أردْنا	وفي القلبَين ثَمَّ هوى دفينُ

فلما سمع ذلك شهق مغشيّاً عليه ساعةً من الزمن، ولم يفق حتى نضحوا الماء على وجهه".

إذا ما قرأنا هذه الرواية بعين الناقد فإننا سنجد فيها فجواتٍ كثيرةً، تبعد كلَّ البعد عن المنطق، ولعلّنا لا نطمئنُّ إلى كثير من الأخبار الواردة فيها.

أولها: تضارب الأخبار التي وردت فيها مع الأخبار التي وردت في الرواية الأولى، ففي الأولى كان المجنون صبيّاً يرعى المواشي؛ في حين أنّه في الرواية الثانية شابٌ يافعٌ يضع حُلل الملوك ومعه عبد برفقته، فهو إذن ابن سيد في قومه كما تخبرنا الرواية الثانية.

ثانيها: أنّه جلس مع مجموعة من النساء وعقر لهنَّ ناقته، وراح يحدثهنَّ بقيَّة يومه، معنى ذلك أنَّ هذه العملية قد أخذت وقتاً طويلاً، وهذا ما لا يمكن أن ترتضيه العادات السائدة في ذلك المجتمع آنذاك –ولا سيما أهل البادية الذين اتصفوا بالعفّة والابتعاد عن اللهو والمجون ومجالسة الرجال للنساء على قارعة الطريق - ومن ثم أين العامل الدينيّ الذي

---

[4]- الذؤابة: شعر الناصية، وهي غرّ صغيرة.
[5]- من جرا: أي من أجل، ووصلي مفروش: ممهد لوصله، وسبيلٌ إليه.
[6]- انتضلنا بالسّهام نضلته: أي ترامينا بالسهام وغلبته. الرشق: رمي أهل النضال ما معهم من السهام في جهة واحدة.

Volume: 4 Issue: 2

أثّر فيهم؟ وهل يسمح الدين الإسلامي بمجالسة الرجال للنساء ساعات طويلة؟ هذا وإن ارتضى قيس ذلك فإن المجتمع لن يقبل من مبدأين كما أسلفنا: العادات والتقاليد، والدين.

ثالثها: هذا الفتى الأعرابي الذي يسوق (معزى) له، كيف لفتيات الحي ما إن رأيْنَه حتى أقبلنَ عليه وتركنَ قيساً؟ هذا الحدث لا يمكن أن يقبله عقل واعٍ، وكأننا نعيش في هذا القرن من الزمان في أوربا أو أمريكا مثلاً، ولعل هذا لن يحدث في زمننا ولا في أي مجتمع آخر وإن وصل إلى أدنى مراتب الانحطاط، ثم لنفترض جدلاً أنَّ قيساً كان يجالس فتيات الحي؛ إذاً كيف لهنَّ أن يُعرضنَ عن ابن سيّد قد عقر لهنَّ ناقته إلى أعرابي يسوق معزى؟

رابعها: أنَّ قيساً لمَّا التقى بليلى وجواريها دعونَه شريطة أن لا يشغلهنَّ عنه أحد –ويقصدْنَ الأعرابي بذلك- أعود إلى القول كيف يرتضي مجتمع البادية مثل هذه التصرفات؟

خامسها: كيف تقبل ليلى أن تسارر فتى من الفتيان سراراً طويلاً أمام جمع من الفتيات؟

سادسها: ما هذا الحبّ الذي تمكَّن من قلب المجنون من اللقاء الأول –إن صح- حتى يشهق ويغشى مغمياًّ عليه؟

كل هذه التساؤلات تدعونا إلى عدم الاطمئنان إلى هذه الأخبار بل إلى الشك فيها فهي –بظنّي- قد نُسجت ورُكبت تركيباً على مقاس ما قيل من الشعر.

ثالثاً- رواياتٌ ينبغي الوقوف عندها:

هناك الكثير من الروايات التي تحدَّثت عن أخبار المجنون وليلاه في كتاب الأغاني لابد من الوقوف عندها جميعها، لكن –مع الأسف- فإنَّ مقالة مثل هذه لا تسمح لنا بأن نناقش كل ما ورد من هذه الروايات، لذلك فقد ارتأيتُ أن أركّز على بعضها؛ فتكون لنا مثلاً لربَّما يُغني عن بقيَّة الروايات الأخَر.

1- رواية اتّصاله بليلى في صباه:

وردت الرواية في كتاب الأغاني على النحو الآتي (الأصفهاني، 1425هـ، 348/2): "حدّثني بعضُ العشيرةِ قال: قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخالطَ: ما أعجبُ شيءٍ أصابكَ في وَجْدِكَ بليلى؟ قال: طرَقَنا ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ ولم يكنْ عندنا لهم أُدمٌ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي: اطلبْ لنا منه أدماً، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائِهِ فصحتُ بهِ، فقال: ما تشاءُ؟ /فقلتُ: طرَقَنا ضِيفان ولا أُدم عندنا لهم فأرسلَني أبي نطلبُ منكَ أدماً، فقال: يا ليلى، أخرجي إليه ذلك النّحي[7] فاملئي له إناءَه من السَّمْنِ، فأخرجته ومعي قعبٌ[8] فجعلتْ تصبُّ السمنَ فيه ونتحدّث، فألهانا الحديثُ وهي تصبُّ السمنَ وقد امتلأ القعبُ ولا نعلمُ جميعاً، وهو يسيلُ إلى أن استَنْقَعتْ أرجُلنا في السمنِ، قال: فأتيتُهم ليلةً ثانيةً أطلبُ ناراً، وأنا متلفّعٌ ببرد لي، فأخرجتْ لي ناراً في عطبة[9] فأعطتْنيها ووقفنا نتحدّثُ، فلمّا احترقت العطبةُ خرقتْ من بُرْدي خرقةً وجعلت النارَ فيها، فكلّما احترقتْ خرقتْ أخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبقَ عليّ من البرد إلا ما وارَى عَورتِي، وما أعقلُ ما أصنعُ، وأنشدني":

أمستقبلي نفح الصّبا ثم شائقي	ببرد ثنايا أمّ حسّان شائق
وما شمته إلا بعيني تفرّسا	كما شيم في أعلى السّحابة بارق[10]"

ننطلق في قراءة هذه الرواية من أنَّ والد قيس هو رجل سيّدٌ في قومه –وهي الحقيقة التي انطلقنا منها في الروايات السابقة- لنقول: إنَّ العربيّ بطبعه مستعدٌ على الدوام لاستقبال الضيوف –أو لنقل في أغلب الأحيان على أقلّ تقدير- فما بالنا بسيّد في قومه، ومن المعروف عن الأسياد أنَّ نارهم لا تنطفئ، وهذا دليل بسيط على كرمهم وجودهم، السؤال الآن: ماهي مآخذنا على هذه الرواية؟

7- النّحي عند العرب: الزقّ الذي يوضع فيه السمن خاصة.
8 - القعب: القدح الضخم الغليظ، وقيل: قدح من خشب مقعرّ.
9- العطبة: خرقة تؤخذ بها النار.
10- وشمته من الشيم وهو النظر إلى نحو النار والسحاب والبرق. يقال شام السحاب والبرق شيما أي نظر إليه أين يقصد وأين يمطر.

المأخذ الأوّل: أنَّ بيتاً مثل بيت أهل قيس –وهم أسياد في قومهم- يخلو من السَّمْن! ما جعل قيساً يأخذ قدحاً (قعباً) يطلبُ سمناً من أهل ليلى.

المأخذ الثاني: أنَّ أبا ليلى طلب منها أنْ تملأ القعب لقيسٍ ثم تركهما وحدهما! فكيف لرجل عربيّ يعيش في البادية أن يترك ابنته مع شاب وحيدَين؟ والدليل على أنَّه لم يكن معهما أنَّ السمنَ قد بلّل أرجلهما دون أن يشعرا، فلو أنَّ أباها موجود لما حدث هذا الأمر.

المأخذ الثالث: مجيء قيس إلى أهل ليلى في اليوم الثاني يطلب ناراً! ربَّما نقبل أن يكون هذا الطلبُ ذريعةً من قبل قيس من أجل أن يرى ليلى، أو لحاجة حقيقية، ولكن ما لا نقبله كيف احترقت بردته شيئاً فشيئاً دون أن يشعر حتى لم يبقَ منها إلا ما يواري عورته، فكيف بشخص يخرج من عند أهل ليلى شبه عريان في مثل هذا المجتمع؟

2- رواية (جبل التوباد):

ملخّص هذه الرواية (الأصفهاني، 1425هـ، 362/2) أنَّ المجنون وليلى كانا يرعيان الغنم وهما صبيَّان عند جبل التوباد، ولمَّا توحَّش وذهب عقله، كان كثيراً ما يأتي إلى هذا الجبل فيقيم به، وكان إذا تذكَّر أيامه مع ليلى عند هذا الجبل سرعان ما يهيم على وجهه حتى يأتي أرضَ الشام، فإذا ما عاد إليه عقله وأدرك أنَّه في مكان لا يعرفه، يسأل المارَّة: بأبي أنتم وأمّي، أين التّوباد من أرض عامر؟ فيُقالُ له: وأين أنت من أرض بني عامر؟ أنت بالشام، وعليكَ بنجم كذا فاتبعه، ثم يتبع هذا النجم إلى أن يصل أرضَ اليمن، فينكرها، ويعاود سؤاله عن التوباد، فيُقال له: أين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال على هذه الحال حتى يجد التوباد، فإذا ما رآه قال:

وأجهشتُ للتّوباد حين رأيتُهُ	وكبّرَ للرحمنِ حين رآني[11]
وأذريتُ دمعَ العين لمّا عرفتُه	ونادى بأعلى صوتِهِ فدَعاني[12]
فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ	وعهدي بذاك الصّرم منذُ زمانِ
فقال مَضَوا واستودعوني بلادَهم	ومن ذا الذي يبقى على الحدَثانِ

تعليقنا على هذه الرواية باختصار:

أولاً: إنَّ ذهاب عقل قيس وجنونه، ومن ثَم توحّشه؛ كل ذلك لم يمنع المجنون من أن يجيء إلى جبل التوباد الذي يذكّره بليلى وأيامه معها، والرواية تدَّعي أن المجنون عندما يتذكَّر أيَّامه مع ليلى كان يهيم في القفار؛ حتى يصل أرض الشام بعد أن كان عند جبل التوباد (مركز الذكرى) المفارقة هنا في أنَّ المجنون قد أتى إلى المكان الذي يطمئنُّ إليه، فكيف به إذا تذكَّر أيامه مع ليلى عند هذا المكان تركه إلى غيره وهام في البراري؟

ثانياً: أمر تنقّله من البادية في الحجاز إلى أرض الشام، ومن ثّم مسيره إلى أرض اليمن، ليعود أخيراً إلى أرض بني عامر إلى التوباد تحديداً في أرض الحجاز، هذا المسير الطويل مع ما يصاحبه من صعابٍ وأهوال، لابد أن يدعونا إلى الكثير من الشك في مثل هذه الروايات؛ ولا سيَّما أنا أبا قيس –كما أسلفنا- سيد في قومه، فكيف يرتضي على ابنه أن يهيم في القفار شهوراً وربَّما سنوات كما نستشف من هذه الرواية.

ثالثاً: إنَّ المجنون غادر التوباد بادئ ذي بدء ليقوم بهذه الرحلة الطويلة باحثاً عن التوباد نفسه، إلى أن وصل إليه، وبناءً على هذه الرواية نقول: لربَّما يعاود المجنون تذكره لأيَّامه مع ليلى مرَّةً أخرى فيُعيد هذه الرحلة سيرتها الأولى مرَّاتٍ ومرَّات.

3- رواية معاشه مع الوحوش حتى ألفته:

ملخّص هذه الرواية (الأصفهاني، 1425هـ، 342/2): كان المجنونُ يهيم في البراري مع الوحوش، أمَّا طعامه فهو ما ينبت في البرّيّة من بقل، وأمَّا شرابه فهو الماء؛ ولا يشربه إلا مع الظباء إذا وردت مناهلها، بقي على هذه الحال حتى ألفته الوحوش والظباء فكانت لا تنفر منه، وكان يهيم في البلاد باحثاً عن نجد، فإذا ما رآه الناس عرضوا عليه أن يحملوه وأن يكسوه فيأبى، فيدلّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه.

11- أجهشت: تهيأت للبكاء.
12- أذريت: أذرفت.

Volume: 4 Issue: 2

على الرغم من قصر هذه الرواية؛ إلا أنَّها تحتوي في طيَّاتها على كثير من المبالغة، أو الخروج عن المنطق؛ إن صحَّ التعبير.

إن صدَّقنا –جدلاً- أنَّ المجنون هام في البراري -وهوابن سيد في قومه- إنَّنا إذ نركِّز على هذه الجملة لما لها من أهميَّة في الاستناد عليها في أخبار المجنون؛ فكيف بنا نتقبَّل أن يعيش مع الوحوش الضارية؟

أمر آخر: إذا تقبَّلنا أيضاً أن يأكلَ مما تنبت الأرض من بقلها، فكيف لنا أن نتقبَّل شربه للماء مع الظباء؟ إنَّه لا يشربُ وحده إلا مع الظباء، ومن المعروف أن الظباء البرِّيَّة تنفر من أي شيء حولها.

ثم كيف لأهله –وهم الأسياد- أن يتقبَّلوا وضع ابنهم بين القبائل وهو عار لا يكسوه شيء؟

4- رواية إمساكه للجمر وقطع شفتيه:

تذهب هذه الرواية (الأصفهاني، 1425هـ، 343/2) إلى أنَّ المجنون قد مرَّ ذاتَ ليلةٍ بزوج ليلى وهو جالس يتدفَّأ في يوم شات، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

بربِّكَ هل ضممتَ إليكَ ليلى قُبيلَ الصُّبحِ أو قبّلتَ فاها
وهل رفّتْ عليك قرونُ ليلى رفيفَ الأقحوانةِ في نداها[13]

فردَّ عليه زوج ليلى: "أما وأنَّكَ قد حلّفتني فنعم" قيل: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتَين من الجمر، ولم يتركهما حتى سقط مغشيّاً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتَيه، وكان قد عضّ على شفته إلى أن قطعها.

في هذه الرواية كثير من المآخذ والمبالغات:

أوّلها: كيف لإنسانٍ (في مجتمع عربي بدوي) أن يقول لزوج امرأة: هل ضممتَ إليك زوجكَ؟ وهل قبَّلتَ فاها قبيل الصباح؟ وهل وهل وهل؟ كيف لعربي بدوي أن يصدِّق مثل هذه الحكايا الخياليَّة؟ وأغلب الظن أنَّ هذه الحكايا ومثيلاتها قد رُكِّبت وأُلبِستْ لَبوسَ ما قيل من شعر كما أسلفنا، بمعنى أنَّ المجنون؛ أو الشاعر عموماً قد تخيَّل موقفاً ما فقال فيه شعراً، وبالطبع ليس من الضرورة بمكان أن تكون قصة هذه الأبيات قد حدثت، ليأتي بعض القصَّاص والنسَّاج، فينسجوا قصصاً من هذه الأبيات لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

ثانيها: أنَّ المجنون عندما سمع جواب زوج ليلى سرعان ما أمسك بكلتا يديه، وليس بيد واحدة!، بالجمر، ولمدة ليست بالقصيرة حتى أغمي عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتَيه، كيف لنا أن نطمئنَّ ونركن إلى مثل هذه الترَّهات التي لا تحترم العقول؟

ثالثها: أنَّه عضَّ على شفته حتى قطعها، وهذه الحادثة فيها من المبالغة ما لا يحترم المنطق ولا العقل الإنساني.

وفي رواية أخرى (الأصفهاني، 1425هـ، 344/2) تقول: "إنَّ أهل المجنون قد خرجوا طلباً للميرة في وادي القرى، وإذ بالمجنون يمرّ بجبلَي النعمان اللذين كانت ليلى تنزلُ بهما، فسأل فتيان الحيّ: أيّ الرياح تأتي من ناحيتيهما، فقالوا: الصَّبا، فقال: واللهِ لا أريمُ هذا الموضعَ حتى تهبّ الصبا، فبقي على ذلكَ ثلاثة أيَّام حتى هبَّتِ الصَّبا، ليقول:

أيا جبَلَيْ نعمانَ باللهِ خلّيا سبيلَ الصّبا يَخلُصْ إليَّ نسيمُها
أجدْ بردَها أو تُشفِ منّي حرارةً على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمُها[14]
فإنَّ الصّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ على نفسِ محزونٍ تجلّت همومُها"

[13] - رفت من رف لونه يرف بالكسر رفيفا ورفا إذا برق وتلألأ، أراد شدّة سواد شعرها. رفيف الأقحوانة وهي البابونج. والقرون: الذوائب جمع قرن، والظاهر أنه رفيف النبات وهو اهتزازه نضارة وحسنا.

[14] - صميمها: أصلها

السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا: هل وافق أهلُه على البقاء ثلاثة أيَّام من أجل أن يتمتّع المجنون بهبوب ريح الصَّبا؟ يبدو أن القصَّة غير منطقيَّة، وذلك لأنَّ أهلَه إنَّما خرجوا طلباً للميرة، ولم يخرجوا سائحِين في هذه البلاد، يعني أنَّ وقتهم غالباً ما سيكون محدداً.

وفي قصَّة أخرى (الأصفهاني، 1425هـ، 376/2) نرى حدثاً غريباً ينافي التعاليم الإسلاميَّة، قريبة العهد آنذاك- فضلاً عن الأخلاق والعادات والقاليد ولا سيَّما عند أهل البادية، هذه القصَّة تتحدَّث عن خيانة لِيلى لزوجها بعد زواجها – وإن كانت على مستوى اللقاء فحسب- وذلك عندما طلبتْ من المجنون أن يزورها ليلاً ولعدَّة أيَّام، وذلك بعد أن خرج أبوها وزوجها إلى مكَّة لأمر ما، فبعد أن أقام المجنون ليلةً عند ليلى أخرجتْهُ في السَّحر، وقالت له: "سِرْ إليَّ في كلِّ ليلةٍ ما دام القوم سفراً" فكان يأوي إليها حتى قدموا، فقال في آخر ليلة بعد أن ودَّعته:

تمتّعْ بليلى إنما أنت هامةٌ … مِنَ الهامِ يدنو كلَّ يومٍ حمامُها[15]
تمتّعْ إلى أن يرجعَ الرَّكبُ إنَّهم … متى يرجعوا يحرمْ عليك كلامُها

فكيف لليلى البدويَّة المسلمة أن تقوم بمثل هذا الفعل الذي ينكره الجميع، ومن المعلوم أنَّ أباها لم يزوجها قيساً لأنَّه شبَّب بها وتغزل بها في شعره فقط؟ فكيف بهذا اللقاء لليالي عدة بعيداً عن نظر زوجها وأبيها؟ أذاك محرَّم وهذا محلَّل؟

5- رواية الذئب الذي افترس ظبياً يشبه ليلى:

تروي هذه القصَّة (الأصفهاني، 1425هـ، 377/2): "أن بعض الشبَّان سألوا المجنون: أيّ شيءٍ أحبُّ إليكَ بعد ليلى؟

فأجابهم: رأيت ظبياً مرّةً فتأمَّلته، وذكرتُ ليلى، فجعل يزداد في عيني حُسناً، ثم إنه عارضَه ذئب، وهرب منه، فتبعتُه حتى خفيا عنّي، فوجدتُ الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرميتُه بسهم فما أخطأتُ مقتله، وبقرتُ بطنه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه إلى بقيَّة شلوه، ودفنتُه وأحرقتُ الذئب، وقلتُ في ذلك:

أبى اللهُ أنْ تبقى لحيّ بشاشة … فصبراً على ما شاءَ اللهُ لي صبْرا
رأيتُ غزالاً يَرتَعي وسطَ رَوْضَةٍ … فقلتُ أرى ليلى تراءَتْ لنا ظهرا
فيا ظبيُ كُلْ رَغداً هنيئاً ولا تخفْ … فإنَّكَ لي جارٌ ولا ترهبِ الدَّهرا
وعندي لكم حِصْنٌ حصينٌ وصارِمٌ … حسامٌ إذا أعملتهُ أحسنَ الهبرا[16]
فما راعَني إلا وذئبٌ قد انتَحى … فأعلق في أحشائه الناب والظّفرا[17]
ففوّقتُ سهمي في كتوم غمزتُها … فخالطَ سهمي مُهجةَ الذئبِ والنّحرا[18]
فأذهبَ غيظي قتلُه وشفى جوى … بقلبي إنَّ الحرَّ قد يدرك الوترا"

إذاً حادثة متابعته للذئب الذي أكل ظبياً يشبه ليلى فيها من الخيال ما لا يمكن أن يصدّقه عقل، ومثل هذه القصص إنَّما هي للتسلِّي ليلاً مع الأصدقاء ليس إلا، ولا يمكن أن تمتَّ إلى الحقيقة بصلة.

وكذلك الأمر لا يخلو من الغلوِّ ومن مجانبة الحقيقة في قصَّة الحمامة (الأصفهاني، 1425هـ، 378/2) التي ما إن هتفت حتى سقط على وجهه مغشيَّاً عليه بعد أن ذكَّرته بليلى، ولم يفق حتى يوم غدٍ، فقال في هذه المناسبة:

15- الهامة: أعلى الرأس واسم طائر، وكان العرب يزعمون أنّ عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير، ونشأ من هذا الزعم قولهم: «هذا هامة اليوم أو غد» أي يموت اليوم أو غدا.
16- الهبر: القطع.
17- انتحى: اعترض.
18- الكتوم من القسيّ: التي لا ترنُّ إذا انبضت، فلا يصدر لها صوت.

Volume: 4 Issue: 2

لقد غرّدتْ في جُنحِ ليلٍ حمامةٌ على إلفها تبكي وإنّي لنائمُ
كذبتُ وبيت اللهِ لو كنتُ عاشقاً لَما سبقتْني بالبكاءِ الحمائمُ

6- خبره مع نسوة عذلنه في حب ليلى:

عندما تقرأ هذه الرواية ستشعر أنَّك خارج هذا الزمان وخارج هذا المكان أيضاً، وكأنَّك في بلد يقفز على كل الأعراف والعادات والتقاليد ولا سيّما إذا كان الحدث يتعلَّق بأهل البادية.

تقول الرواية: "إنَّ نسوةً جلسْنَ إلى المجنون فقلنَ له: ما الذي دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ما ترى في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لك في أن تَصرِفَ هواك عنها إلى إحدانا فنساعفك ونجزيك بهواك ويرجع إليك ما عزب من عقلك وجسمك؟ فقال لهنّ: لو قدرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفته عنها وعن كلّ أحد بعدها وعشت في الناس سويّاً مستريحاً؛ فقلنَ له: ما أعجبك منها؟ فقال: كلّ شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني، والله ما رأيت شيئا منها قطّ إلا كان في عيني حسناً وبقلبي علقاً، ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيء أو يسمج أو يعاب لأسلو عنها فلم أجده؛ فقلنَ له: فصفها لنا"(الأصفهاني، 1425هـ، 2/383)، فقال:

بيضاءُ خالصة البياضِ كأنَّها قمرٌ توسّطَ جُنحَ ليلٍ مُبرَّدِ
موسومةٌ بالحُسنِ ذاتُ حواسد إنَّ الجمالَ مَظنةٌ للحُسَّدِ
وترى مدامعَها ترقرقُ مقلة سوداء ترغب عن سوادِ الإثمدِ
خوّد[19] إذا كثُرَ الكلامُ تعوذَّت بحمى الحياءِ وإنْ تكلّم تَقصدِ

لابدَّ من الوقوف على بعض النقاط والأخبار التي وردت في هذه الرواية:

أوَّلها: جلوس مجموعة من النساء مع المجنون، ويبدو أن الناس يعرفون هذا الخبر بدليل أنَّ الخبر منقول عن طريق العنعنة ولمجموعة من الرجال.

ثانيها: أن هؤلاء النسوة لم يكتفيْن بالجلوس وحسب؛ بل رحْنَ يقنعْنَ المجنون بصرف نظره عن ليلى إلى إحداهنَّ، ولنركّز على هذه النقطة، إنَّهنَّ يعرضْنَ أنفسهنَّ على المجنون، فكيف لعربيَّة أولاً؛ ولبدويّة ثانياً؛ ولمسلمة ثالثاً؛ أن تعرض نفسها بهذه الطريقة على رجل؛ وعلى مرأى من النساء الأخريات؟

ثالثها: أنَّ هؤلاء النساء يناقشنَ –إن صح الخبر- رجلاً مجنوناً على الحقيقة قد فقد عقله بسبب حبّه، فكيف يمكن لهنَّ أن يناقشنَ مجنوناً يخرجْنَ بنتيجةٍ طبيعيَّة منه؟

رابعها: كيف للمجنون أن يعرِف نفسه بأنَّه مجنون، فطالما ذهب عقله كيف له أن يدرك ذلك؟ وهذا بدا في جوابه لهنَّ: لو قدرت على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفته عنها وعن كلّ أحد بعدها وعشت في الناس سويّاً مستريحاً.

[19]- الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة.

رابعاً- وفاته:

يُروى أنَّ رجلاً رأى المجنون يوماً ما يعدو خلفَ ظبية حتى غاب عن ناظرَيْه، ليعود في اليوم الثاني فيطلبه فلم يجده، وفي اليوم الثالث جاء وأهلَ المجنون يطلبونه فلم يجدوه، فتقفَّوا أثره إلى أن وجدوه في اليوم الرابع في واد كثير الحجارة، وهو ميّت بين تلك الحجارة، فحملوه، فغسّلوه، وكفنوه، ودفنوه، سنة 70 للهجرة على أرجح قول (الأصفهاني، 1425هـ، 333/2، الشعر والشعراء، ص569).

صفوةُ القول:

إنَّ انتقادنا لكثير من الروايات التي وردت في قصَّة ليلى والمجنون جاء من باب أنَّ هذه الروايات قد شابتها المبالغات كثيراً، لدرجة أننا في بعض الروايات كنَّا نشعر وكأننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة، أو في كتاب مخصص للحكايا والأساطير، لما فيه من شطحات ومبالغات لا يقبل بها العقل ولا المنطق، ولا يرتضيها المجتمع البدوي- الإسلامي، فنحن إذ ندرس شاعراً فحلاً من فحول الشعراء العذريين الأمويين لابد أن نميز الخبيث من الطيب في ما ورد عنه من روايات، ونقصد بالخبيث ما كان مبالغاً فيه خارجاً عن المنطق، ونحن أيضاً لا ننكر وجود قيس بن الملوَّح كما ذهب بعض الدارسين أمثال طه حسين وكارل بروكلمان؛ اللذين اعتمدا على بعض هذه الروايات وبعض الأخبار التي وردت في كتاب الأغاني ليشككا؛ ومن ثم لينفيا وجود المجنون رفضاً قاطعاً، على حين أنَّ كثيراً من الدارسين قد أثبت وجوده وشعره وصحح كلَّ رواياته؛ بل ردَّ على طه حسين ومَن ذهب مذهبه (ينظر، ديوان قيس بن الملوح، ص17)، أمَّا نحن –في هذه الدراسة- فإنَّنا لا ننتمي لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بمعنى أننا نقف موقفاً وسطاً بينهما، فنحن لا ننفي وجود شخصية المجنون، لكن في المقابل لا نصحح كلَّ الروايات التي وردت في سيرته الشخصيَّة، لكن للإنصاف نقول: قد يختلف الدارسون حول شخصيَّة المجنون من حيث تحديدها؛ إلا أنَّ جُلَّهم قد أثبت وجود شخصيَّة تسمى (قيس بن الملوح، وهو الذي أحبَّ ليلى حبّاً عذريَّاً، وقال فيها شعراً).

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الحميد: قصص العشاق النثرية في العصر الأموي، دار نشر الثقافة، ط1، القاهرة، 1972م.

- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1998م.

- أبو الفرج، الأصفهاني: الأغاني ، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1415هـ.

- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350هـ.

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر: المؤتلف والمختلف، علق عليه: ف. فرنكو، دار الجيل، ط1، بيروت، 1411هـ/1991م.

- الأوْنَبيّ، أبو عبيد البكري: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، د.ت.

- البغدادي، عبد القادر: خزانة الأدب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998م.

- الجاحظ، أبو عمرو: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7،1418هـ.

- الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ/ 1996م.

- الهادي، صلاح الدين: اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، 1407هـ/ 1986م.

- حسين، طه: حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت.

- خليف، يوسف: الحب المثالي عند العرب، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت، 1961م.

- ضيف، شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف بمصر، ط3، القاهرة.

- عبد الغني، يسرى: ديوان قيس بن الملوح، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1420هـ، 1999م.

- عطوي، رفيق: صورة المرأة في شعر الغزل الأموي، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، 1986.

- هلال، محمد غنيمي: الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، الفجالة، القاهرة، د. ت.